أفضل القول بتبيين النّقول لأهل العقول في فضائل وخصائص السيّدة عائشة زوج الرسول

الحمد لله ذي المنّ والإحسان، والقدرة والسلطان، الذي أنشأ الخلق بربوبيّته، وجنّسهم بمشيئته، واصطفى منهم طائفة أصفياء، وجعلهم بررة أتقياء، فهُمْ خاصّة عباده، وغَرْسُ بلاده، يصرف عنهم البلايا، ويخصّهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيه، نحمده سبحانه وتعالى أنْ أسبغ علينا نِعَمَه، وأفاض لدينا مِنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدره. ووضع وِزْره. ورفع ذكره. وجعل خير القرون قَرْنَهُ الذي به قَرَنَه. وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياتِه. فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شرعه. فعلّمنا فُرُوضَهُ وسُنَنَه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله. وحده لا شريك له، الواحد القهّار، يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، شرّف رسوله سيِّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلم على كلّ البشر. وجعل عِتْرته خير العِتَر، وأسرته خير الأَسَر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حَرَمٍ، وبسقت في كَرَمٍ، لها فروع طِوال، وثَمَرٌ لا يُنال،

إِنْ عُدَّ أهْلُ التُّقَى كَانُوا أئِمّتَهُمْ أوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرْضِ قِيلَ هُمُ

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ وَيُسْتَزَادُ بِهِ الإحْسَانُ

وَالنِّعَمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً
وَمُعْتَصَمُ
وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبد الله ورسوله، وصفيّه
من خلقه وخليله. إصطفاه الله تعالى على
العالمين، واختار له من الأصحاب أفضلهم، ومن
الزوجات أطهرهنّ، فكنّ له في الدنيا والآخرة،
وحُرِّمن على غيره. فهنّ أمّهات المؤمنين، وحليلات
رسول رب العالمين،
بمحمّد يا سامعين تشرّفوا وبجاهه فتوسّلوا
واستعطِفوا
يا مرتجين لفضله ونواله صلّوا على هذا الحبيب
وآله
اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. الخاتم
لنبوّة النّبيّين. ورسالة المرسَلين. وعلى بضعته
الزهراء النبوية. سيّدة نساء العالمين. وعلى آل بيته
الطيّبين الطاهرين. وصحابته القائمين بشريعته على
سَنَنِ الإيضاح والتبيين. صلاة تسلك بنا بها طريق
الأئمَّة المهتدين. وتنوِّر بها بصائرنا بنور الإستقامة
والفتح المبين. ونكون بها من عبادك المُوَفَّقِين
المُؤَيَّدين. الداعين إلى طاعتك المرشِدين. بفضلك
وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا
بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله عزّ وجلّ في
سورة القصص:((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما
كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا
يُشْرِكُونَ)). والإختيار هو الإجتباء والإصطفاء. الدّالّ
على ربوبيّته سبحانه ووحدانيّته. وكمال عِلْمه

وحِكْمته. فالله جلّت قدرته. وتعالت عظمته. فاوت بين خلقه في المناصب. وجعلهم طبقاتٍ متباينة المراتب. ليتميّز الشقيّ من السعيد. والمقرَّب من البعيد. ومن تمام اختياره سبحانه وتعالى. إصطفاءه لِلأنبِيَاء وَالرُّسُل. فبعثهم مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَكَانَ أَعْظَمَ الأَنْبِيَاءِ قَدْراً. وَأَبْلَغَهُمْ أَثَراً. وَأَعَمَّهُمْ فَضْلاً. نَبِيُّنَا المصطفى صلى الله عليه وسلم. الذِي خَتَمَ اللهُ بِهِ النَّبِيِّينَ، وهدى به الناس أجمعين. قال تعالى في سورة آل عمران:((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)). فَكَانَ بِحَقٍّ نِعْمَةً عَظِيمَةً. وَمِنَّةً كَرِيمَةً، على عباد الله المؤمنين. بَلْ هُوَ صلى الله عليه وسلم أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ حيث صار لهم أَبًا. وأزواجه أمّهاتٍ لهم. قال تعالى في سورة الأحزاب:((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ)). وفى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:((النَّبِيءُ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)). وقال مجاهد: كل نبيّ أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. لأنّ النبيّ صلى اللّه عليه وسلّم أبوهم في الدّين، وأزواجه أمّهاتهم، فى تحريم نكاحهنّ. ووجوب تعظيمهنّ، مِنَّةٌ من الله تعالى عليهنّ بهذا الفضل. حيث فرض هذه الأمومة وقرّرها على جميع المومنين. ومن هؤلاء الزوجات الطاهرات. أمّهات المؤمنين. الطّاهرة المطهّرة، المبرّأة من فوق سبع سماوات، زوج رسول الله صلى اللّه عليه وسلّم، وريحانته وحبيبته. إنّها أمّنا.

وأمّ المؤمنين جميعًا. الصّدّيقة بنت الصّدّيق، السيّدة عائشة بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق، رضي الله عنها وعن أبيها. ففي مثل هذا الشّهر. وهو شهر شوّال. من السّنة الأولى من هجرة النبيّ عليه الصلاة والسلام. كان اختيار الله تعالى للسيّدة عائشة رضي الله عنها. أن تكون زوجة في الدنيا والآخرة. لحبيبه ومصطفاه. صلّى الله عليه وسلّم. ففي صحيح مسلم عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ:((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ)). وروى الترمذي وحسَّنه وابن عساكر عنها رضي الله عنها قالت:((جاء بي جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خرقة حرير خضراء، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والاخرة)). وفي صحيح مسلم وغيره عن عُرْوَة بن الزبير رضي الله عنه عَنْ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي. قَالَ عُرْوَة: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ. وقصدت السيّدة عائشة رضي الله عنها بهذا الكلام ردّ ما كانت الجاهلية عليه. من تشاؤمهم بشهر شوَّال، فكانوا لا يتزوّجون فيه. زعمًا منهم أنَّ الزَّواج فيه لا يفلح، وسبب تشاؤمهم ما في اسم شوَّال من الإشالة. وهي الرَّفع والقلّة. يقال: شال

الميزان، إذا ارتفعت إحدى كفّتيه لخفّتها، وشالت النَّاقة إذا رفعت ذنبها، أو قَلَّ لبنها. كما في تهذيب اللغة، ولسان العرب. وقد حارب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأقواله وأفعاله. التَّشاؤم بشوَّال وبغيره. فتزوّج بأمّ المؤمنين عائشة. ليبيّن بطريقةٍ عمليَّةٍ بطلان ما يعتقده الجاهليون في شهر شوّال. ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب التّزويج والتّزوّج والدّخول في شوّال. فكم لها رَضِيَ اللهُ عَنْها من الفضائل. فبأيّها نبدأ؟ وكم لها من المنازل العظيمة. فكيف نصفها؟ يقول عنها صلّى الله عليه وسلّم. كما في صحيح البخاري. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)). ولعلّ إحدى هذه الفضائل، التي امتازت بها أُمُّنَا. على سائر نساء المؤمنين. من السابقين واللاحقين، أنّها رضي الله عنها روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عِلْمًا جَمًّا، وحفظت من حديثه عددًا كثيرًا، حتَّى غَدَتْ مِنْ حُفَّاظِ السُّنَّةِ والحديث. الذين حَفِظَ اللهُ تعالى بهم الدين، وليس بعدَ هذا الشَّرَف مِنْ شَرَف. قال الحافظُ الذهبيُّ في سِيَر أعلام النبلاء: مُسْنَدُ عائشةَ يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. وروى الترمذي في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ:((مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا

أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)).
وقال عُرْوَةُ بن الزبير: ما رأيتُ أحدًا من النّاس أعلمَ بالقرآن ولا بفريضةٍ ولا بحلالٍ وحرامٍ ولا بشِعْرٍ ولا بحديثِ العرب ولا النَّسَبِ مِن عائشةَ رضي الله عنها. لقد كان لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها منزلة خاصّة في قلب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكان يُظْهِر ذلك الحبّ ولا يُخْفيه. روى الشيخان في صحِيحَيْهِما أنّ عمرو بن العاص رضي الله عنه. سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:((أيّ النّاس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة. قال: فَمِنَ الرّجال؟ قال: أبوها)). وكان خبر حبّه صلى الله عليه وسلم لها أمراً مستفيضاً، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرَّوْن بهداياهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم يوم عائشة من بين نسائه، تقرّباً إلى مرضاته، فقد روى البخاري ومسلم عن هِشَام عَنْ أَبِيهِ قَالَ:((كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ. قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا)).

ولمّا فَرَضَ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأُمَّهَاتِ المؤمنين عشرة آلاف، عشرة آلاف، زاد عائشةَ ألفَيْن، وقال: إنَّها حبيبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد كانت أمّنا عائشة رضي الله عنها إمرأة مباركة. ما وقعت في ضيق وحَرَجٍ إلاّ جعل الله بسبب ذلك فَرَجًا ومخرجا للمسلمين. فقد كانت سببا في مشروعيّة التّيمّم. فعنها رضي الله عنها أنّها استعارت من أسماء أختها قلادة، فهلكت أي ضاعت. فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصّلاة. فصلّوا بغير وضوء، فلمّا أتوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التّيمّم، فقال أُسَيْد بن حُضَيْر: جزاكِ الله خيراً، فواللهِ ما نزل بك أَمْرٌ قطّ. إلاّ جعل الله لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة. ومن خصائصها رضي الله عنها أنّها قالت لنساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فُضِّلْتُ عليكنّ بعَشْرٍ ولا فَخْر. كنتُ أحبّ نسائه إليه. وكان أبي أحبّ رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوّجني لسبع، وبنى بي لتسع، ونزل عذري من السّماء. واستأذن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نساءه في مرضه، فقال إنّه ليشقّ عليّ الإختلاف بينكنّ. فائذنّ لي أن أكون عند بعضكنّ. فقالت أمّ سلمة: قد عرفنا مَنْ تريد. عائشة. أذنّا لك، وكان آخر زاده من الدّنيا ريقي، أُتِيَ بسواك، فقال أنكثيه ياعائشة. فنكثته. وقُبِضَ بين حِجْري ونَحْري، ودُفِن في بيتي. فأيّ امرأة أجلّ، وأيّ نفس أعظم، وأيّ روح أزكى، من روح تستند إليها روح

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتكون آخر العهد بها في الدنيا، ألا ما أعظمك يا أمّنا الحبيبة! وما أجلّ قدرك! وما أزكى روحك! ولعظيم شرفها ومكانتها رضي الله عنها. لم يشأ الله تعالى أن يترك حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنال منها ألسنة المنافقين. التي رمتها بالإفك والبهتان، بل برّأها من فوق سبع سماوات. وأنزل فيها عشر آيات كريمات في سورة النور، وَحْيًا يتلى على مرّ الدّهور، وتعاقب العصور، يخلّد ذكراها العطرة. ويزكّيها بتزكية الربّ الكريم، قال تعالى:((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّ لأمّنا السيّدة عائشة رضي الله عنها من المناقب ما يقصر البيان عن ذكره، وإنّ معرفة فضائلها. وتقديرها حقّ قدرها. والدفاع عن عِرْضها، دِينٌ ندين الله عزّ وجلّ به، فمحبّتها دين وإيمان، وبغضها نفاق وطغيان، كيف لا وهي أمّ المؤمنين، وعِرْض رسول ربّ العالمين، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان في السنة الثامنة والخمسين للهجرة النبوية. توفّيت أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها. وعمرها سبع وستّون سنة. وصلّى عليها الصّحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه. ودفنت في البقيع، بجوار أمّهات المؤمنين. زوجات الرسول الأمين. وآل بيته الطيّبين الطاهرين. فرضي اللّه عنها وأرضاها. ورفع منزلتها، وحشرنا في زمرتها،

مع الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وسلم.
ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني إذ يقول في قصيدته (طَيْبة الغرّاء في مدح سيّد الأنبياء)، متوسِّلا بأمّنا عائشة رضي الله عنها:

وَبِرُوحِي فَخْرُ النّساءِ على الإطــلاق ذاتُ الفضائل الحمراءُ
بنتُ صدّيقِكَ الأحبُّ من الكـــلِّ إِليك الصدّيقةُ العذراءُ
أعلمُ العالِمات في النّاس عنها قَد روى شَطْرَ ديننا العلماءُ
ذاتُ فَضْلٍ لو كان يُقْسَمُ في كـلِّ نِساءِ الورى فَضَلْنَ النساءُ
مَنْ أراكَ الرحمنُ صورَتَها قبــــلُ حَوَتْها الحريرةُ الخضراءُ
بينَ سَحْرٍ لها ونَحْرٍ وفاةٌ لكَ كانَت يا نِعْمَ هذا الوفاءُ
سَهَّلَ الموتُ رؤيةَ اليَدِ في الجنَّـــةِ مِنها وَهْيَ اليدُ البيضاءُ
رضيَ اللَّه عَن أَبيها وعنها وَرضيتُم فَلتَسْخَطِ الثُّقَلاءُ

نسأل الله تعالى أن يجمعنا بالصّدّيقة وأبيها في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، وأن يجعل حبّنا لها ولأبيها من أفضل الأعمال التي تقرّبنا إلى الله، فالمرء مع مَن أحبّ يوم لا ينفع مال ولا جاه، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك

وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اه.